إلى الراحِلِ العزيز، الدكتور ألفرد سعد

رحَلتَ ولم يحِنِ الرحيل، وحِبرُكَ لمّا يَجِفَّ بعد.
سيبكيكَ القلم، وحِبرُ الدواةِ سيغفو في الصقيعِ حينَ تضمُّ الأرضُ جسدَكَ المُعذَّب.
لم تَكُنْ راغباً في الأرض، بل للخلودِ توّاقاً كُنتَ، كيف لا وأنتَ القائل:

"يا راغباً في الأرضِ ذي الأرضُ تَبابْ
مجدُ الدُّنى وهْمٌ كأطيافِ السرابْ
فتِّشْ عنِ الأسمى، ودَعْ عنكَ الهوى
أفراحُ دُنيانا ملذّاتٌ هَبابْ
في المُنتهى سوفَ المجاني تُفرَزُ
قِسمٌ إلى الأسمى، وقِسمٌ للترابْ"

(من ديوان السعد)

لعمري، أنت إلى الأسمى سعيت في جهاد عُمرِكَ الغزير.

إبنُ كفرسلوان، من أعمالِ جبلِ لبنان في المتنِ الأعلى، إلى مدرسة الآباءِ اليسوعيين في غزير، ومنها إلى بكفيّا مُدرِّساً للغة العربية، ثم إلى الجامعة اليسوعية دارِساً ومُدرِّساً، ومن ثَمَّ إلى جامعة السوربون الفرنسية مُتخصصاً، رحلةُ نَهلٍ وعطاء، لفحتها ريحُ الحربِ الأهلية اللبنانية الصفراء، فاغترَبتَ مُقهراً، لا طمعاً بمال، بل ألماً من الأذى اللاحقِ بالوطن، حيثُ قلتَ في قصيدتِكَ "جرح الوطن":

"إنْ شِئتُ أنْ أكتُبَ التاريخَ في كلِمِ

كان افتخاري بأرزِ الربِّ والعلمِ

هلْ لي بأمجادِ أهلِ المالِ مَفخرةٌ؟

لا، إنما الفخرُ، بعدَ الأرز، بالقلمِ

وطني! أنا إنْ تركتُ الدارَ لا عَتَبُ

فأنا، كما الناس، من ظُلمِ الأذى هربوا

أبناؤنا في مدى الأقطارِ قد ضربوا

مُتَغرِّبينَ، فيا لبنانُ لا تَلُمِ!"

(من ديوان السعد)

لا غَروَ، وكنتَ قد رثيتَ بيروت المدمرة سنة 1976 قائلاً:

"أسفي مُنى الشرقين من أغراكِ

سفكَ الدماءِ.. فَحَلَّ سفكُ دِماكِ

..هاكِ عُيونُ الشرقِ تدمعُ حسرةً

مُذ دنَّسَ الغازونُ قُدسَ ثراكِ"

(من ديوان السعد)

ومن ثَمَّ هاجرتَ حاملاً روحَكَ أشلاءَ تُحاكي أشلاءَ بيروت.

لم تقعُدْ لكَ همةٌ، ولمْ تلوِ عزيمةٌ، مؤلفاتُك الغزيرة تنِمُّ عن روحكَ الصلبة، وفكرك العميق، وتُفصحُ عن مكنونات النفسِ لديك، وفلسفتِك في الحياة، وتعلُّقِكَ بوطنِك، ودفاعِك عنه في كل المحافل.

لقد كنت أديباً، لُغويّاً، شاعراً، مُفكراً، مربياً، سياسياً مُناضلاً، صحافيّاً في آنٍ، ولكنك كُنتَ إنساناً مؤمناً وملتزماً بقضايا الإنسانية قبل كل شيء، حاملاً في شخصِكَ رهافةَ قلمٍ حدٍّ كالسيف.

ولقد كان لنا، نحن في الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، شرفُ أن تكون واحداً من المناضلين البارزين من أركانها، متبوِّئاً رئاسة القارة الأمريكية الشمالية، ومناضلاً في سبيل الدفاع عن قضايا المغتربين في بلاد الانتشار، وعن لبنان في المحافل الدولية.

إنَّ زملاءَكَ في الجامعة، يعاهِدونَك على إكمال مسيرتك، مسيرة الحرية: حريةِ الفكرِ وحرية الإنسان، حاضنين تُراثَكَ ومؤلفاتِكَ، عاملين على إعلاءِ ذكراكَ.

فباسم الرئيس العالمي للجامعة، وباسم المجلس القاري، وباسمي شخصيّاً، نتقدم بالعزاء من عائلتك الكريمة، من زملائك في فرع بوسطن والعالم، ومن عائلة Profile News ومن أصدقائك ومحبيك، نرجو أن يمنحنا اللهُ، عز وجل، نعمة الصبر والسلوان.

ودعني، يا عزيزي ألفرد، أُردِّدُ أمنيتَكَ في "ديوان السعد":

"لي في ظِلالِ عُيونِ الأرزِ أُمنيةٌ

حَرَّى، فعُمري بِعِشقِ الأرزةِ التهَبَ

لا تتركوا قَلــبَ من بالشرقِ مَنبِتُهُ

يغفو غريباً برمسٍ من ثَرى الغُرَبا !"

الياس كسّاب

الرئيس القاري في الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم

أمريكا الشمالية

من مؤلفات الراحل:

- سلوى (قصة)
- ظلال الحب (قصة)
- الناسك (بحث)
- العاشقان (قصة)
- سلسلة سعدون المغامر (خمسة أجزاء للمطالعة المدرسية)
- دفتر الأشعار (ثلاثة أجزاء للتعليم الابتدائي)
- حرب الخليج (بحث)
- الرسالة أو الحقيقة اللبنانية (بحث)
- دروب الياسمين (قصة)
- ديوان السعد (شعر)
- مقالات صحفية عديدة